الفصل الأول

حب الله ﷻ مفاهيم ومعايير

ماذا يعني حب الله ﷻ!

الحب سر من أسرار الله تعالى أودعه قلوب أناس هداهم واصطفاهم ومنعه آخرين فأضلهم وأشقاهم، فلا يعلم حقيقته على التمام والكمال إلا الله ﷻ فهو الذي يعلم مستقره ومستودعه ومنه منبعه وإليه مرجعه.

ومن ثم فلن نكثر القول في معاني الحب وذلك لأن كل محب ربما يكون لديه معنى للحب لا يقنع إلا به ولا يرضى إلا عنه وكلٌ لديه فيما يقنع به ويرضى عنه حجة وبرهان.

لكنا نعرض لبعض من هذه المعاني وذلك أن كلاً منها قد يطرق معنى ربما لم يطرقه الآخر عسى أن نهتدي بفضل الله تعالى إلى معنى لحبه يرضاه منّا ويرضى به عنّا، وتلك نفحة من المعاني دونما تعليق منّا لأن ذلك قد يحتاج إلى كتاب وحده.

فهذا محب يقول:

المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم.

وإيثار المحبوب على جميع المصحوب.

وموافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

ومحو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته.

ومواطأة القلب لمراد الرب.

وترك الحرمة مع إقامة الخدمة.

- ويقول آخر:

المحبة استقلال الكثير من نفسك.

واستكثار القليل من محبوبك.

- **ويقول آخر:**

المحبة أن يكون كلك بالمحبوب مشغولاً وذُلك له مبذولاً.

- **ويقول آخر:**

المحبة ما لا يزيد بالبر وما لا ينقص بالجفاء.

- **ويقول آخر:**

المحبة معانقة الطاعة ومباينة المخالفة.

- **ويقول آخر:**

المحبة هي دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب.

- **ويقول آخر:**

المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شئ.

- **ويقول آخر:**

المحبة أن يمحى من القلب ما سوى المحبوب.

- **ويقول آخر:**

المحبة هي إقامة العتاب على الدوام.

- **ويقول آخر:**

المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول.

- **ويقول آخر:**

المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه أحد مثلك.

- **ويقول آخر:**

المحبة ميلك إلى محبوبك بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في محبته.

وغير ذلك كثير كثير..... فربما تجد معاني للحب بعدد المحبين.

لكن الحب عندي:

" أن تنال مرادك ممن أحببت بالذي يريده منك "

فإن أحببت الله ﷻ حباً حقيقياً كان مرادك نفس مراد الله منك، وهذا ما عبر عنه أحد الصالحين بقوله:

" اللهم إنك قد أمرتنا بعدم اتباع الهوى... أما وقد أصبحت طاعتك هوى نفسي فاغفر لي "

وربما قال ذلك لكونه قد سها عن قول النبي ﷺ:**"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به "**[1].

وذلك أن الرسول ﷺ قد بلغ في الحب مبلغاً لم يبلغه سواه فلم تعد عبادة الله ﷻ هواه وحسب وإنما أصبحت رضا نفسه وطمأنينة قلبه وقرة عينيه وزيادة، فهو القائل:**"وجعلت قرة عيني في الصلاة "**[2]، وهو القائل:**"أرحنا بها يا بلال "**[3].

فإن يكن مرادك وهوى نفسك وقرة عينيك وطمأنينة قلبك هو نفس مراد الله تعالى منك...

فذلك هو الحب عندي.

وذلك أنه إذا تمكن حب الله ﷻ من القلب صار صاحبه وكأنه خلق آخر غير الذي كان... أصبح قلبه فارغاً من كل ما هو فان، خالياً من المخلوقات متصلاً بالخالق سبحانه وتعالى.

فالمحب بالله يسمع... والمحب بالله يبصر

والمحب بالله يبطش... والمحب بالله يمشي

والمحب يحب من المخلوقات ما يحبه الله... ويبغض منها ما يبغضه

(1) رواه الإمام النووي في الأربعين النووية وقال: حديث حسن صحيح.
(2) أخرجه النسائي وصححه الألباني (3124) في صحيح الجامع.
(3) أخرجه أبو داود وصححه الألباني (7892) في صحيح الجامع.

الله.

يوالي منها ما والاه الله... ويعادي منها ما عاداه الله.

يخاف الله فيها ولا يخافها في الله.

يرجو الله فيها ولا يرجوها في الله...

وذلك هو الحب عندي

كذلك إذا تمكنت محبة الله تبارك وتعالى من قلب العبد تجد العبد ذاهلاً عن نفسه... متصلاً بذكر ربه... قائماً بأداء حقوقه... ناظراً إليه بقلبه وقد انكشفت له بالمحبة حجب وفتحت له بالمحبة أبواب.

فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله ولأمر الله وإن سكن فمع الله...

فالمحب دائما بالله ولله ومع الله

.... وذلك هو الحب عندي.

كذلك فإن المحبة إذا تمكنت من القلب كانت شغله وشاغله فلا مال ولا أهل ولا جاه... فهو قد استغنى عن كل ذلك بالله... وذلك كقول القائل يناجي ربه ﷻ:

والله ما طلعت شمس ولا غربت ::: إلا وحبك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلى قوم أحدثهم ::: إلا وأنت حديثي بين جلاسي
ولست أخشى – إلهي – فيك لائمة ::: ولا أبالي بوسواس وخناس
سلكت كل سبيل في رضاك ولو ::: سعياً على الوجه أو مشياً على الراس
ولا أبالي بحمق الناس أو سفه ::: فإن جندك دون الناس حراسي
ما لي والناس وحبك غايتي ::: ديني لنفسي ودين الناس للناس

وذلك هو الحب عندي

* * *

ماذا يحب الناس!

من يتأمل واقع الناس يجد فيه العجب العجاب. فمذاهب الحب فيهم متباينة تبايناً لا يكاد يحصى ومختلفة اختلافاً لا يكاد يعد. فقديماً قيل للناس فيما يعشقون مذاهب.

حتى إن الشئ الواحد لتختلف فيه دواعي الحب من شخص إلى آخر ومن زمن إلى آخر ومن مكان إلى آخر. فقد يتفق الناس على حب الشئ الواحد ولكنهم قد يختلفون في أسباب هذا الحب.

وإذا ما تأملنا واقع الناس نجد أنه من الأشياء التي تشغل قلوبهم في هذا الزمان... وفي كل زمان وتستأثر بحبهم كله أو بحبهم جله - إلا من رحم الله تعالى - أمور عدة لعل أهمها:

*** أولاً: المال:**

فكثير من الناس غالب حبهم وملء قلوبهم وجل تفكيرهم وكل تدبيرهم وشغلهم وشاغلهم إنما هو المال.

لا يدعون سبيلاً يوصل إليه إلا سلكوه، ولا باباً إلا طرقوه، لا يبالي أحدهم في ذلك بحلال أو حرام ولا يأبه بما يلاقي لأجله من مشقة وآلام... وعن أولئك قال رسول الله ﷺ :**"يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو حرام؟ "**[1].

وأظن هذا الزمان قد غشي الناس - إلا قليلاً ممن رحم الله - فترى الرجل من أولئك قد مال إلى المال ميلة لا يود منها خلاصاً، وذلك أن حب المال طغى على كل حب في قلبه.

فأعماه عما سواه... وأصمه وأنساه

فأصبح كل غايته من الدنيا... وهو كذلك كل رجاه

(1) أخرجه النسائي وصححه الألباني (8003) في صحيح الجامع.

ومن حاله هكذا كثير.

أولئك عبدة الدرهم والدينار... تعسوا وانتكسوا ومأواهم النار أولئك الذين قال الله تعالى حكاية عنهم:

{وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: ٢٠]، وقال تعالى:{وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات: ٨].

وقال عنهم النبي ﷺ:**"لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغي ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب "**[1].

وحقيقة الأمر:

أن المال ليس شراً أو سوءاً في ذاته، إنما العبرة من أين اكتسابه، وفيم إنفاقه؟ وما يمثل في قلب صاحبه؟ وهل هو وسيلة إلى رضى الله ﷻ أم أنه غاية لذاته؟

فهناك من سبل الخير في الدنيا والآخرة ما لا يكون إلا بالمال ولذلك قال رسول الله ﷺ :**"إن الله قال إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة "**[2].

حتى أن نصف أركان الإسلام لا يكون واجباً إلا بوجود المال فلا تجب الزكاة إلا في وجود المال ولا يجب الحج إلا في وجود المال وأحد كفارات إفطار الصائم في رمضان هو الإطعام. والإطعام لا يكون إلا في وجود مال... ناهيك عن دور المال في كل نواحي الدين والدعوة إلى الله ﷻ.

لذلك قال رسول الله ﷺ :**"نعم المال الصالح في يد العبد الصالح "**[3].

وقال:**"إن الله تعالي يحب الغني التقي السخي "**[4] - وإن كان حقيقة الغني هو الاستغناء.

(1) متفق عليه.
(2) رواه الطبراني وصححه الألباني (1781) ص.ج.
(3) رواه مسلم.
(4) رواه مسلم.

حتى أن الأمر يصل إلى ما هو أكبر من ذلك فيقول سعيد بن المسبب رحمه الله: **(لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغنى به عن الناس)**.

حتى أن الله ﷻ سماه في كتابه العزيز خيراً فقال تعالى:{ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ } [البقرة: ٢١٥].

بل إن الله سبحانه وتعالى قد أقر حب المال فقال تعالى:{لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ } [آل عمران: ٩٢].. ولكن كل يؤخذ بحقه فلا تفريط ولا إفراط فانتبهوا يا أولي الألباب.

*** ثانياً: النساء:**

من الناس من غلب عليه حب النساء فقدمه على كل حب فلا يقنع فيه بحلال ولا يشبع منه بحرام.

يبيع الدنيا بلذة فانية... ويستبدل الحور العين بغانية.

وما من شك في أن النساء فتنة، وأي فتنة.

فكم أخذت بعقول رجال فأذهبته.

وكم أخذت بنواصي شباب فضيعته.

وكلٌ يتحمل في ذلك من الإثم ما يتحمل... رجالاً ونساء.

كلٌ بقدر ما ضيع وكلٌ بقدر ما فرط وكلٌ بقدر ما تعدى.

وما من شك أن النساء شهوة لا تدانيها شهوة - عند الأكثرين - ولذلك جعلها الله تعالي في مقدمة الشهوات التي زُين للناس حبها قال تعالي:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ} [آل عمران: ١٤].

ولكن حقيقة الأمر أن النساء لسن شراً كلهن.

بل هن كما قال رسول الله ﷺ :"**إنما النساء شقائق الرجال** "[1].

فالمرأة هي الأم والبنت وهي الأخت والزوجة ودخول الجنة - بإذن الله - مقرون ومرهون بالإحسان إليهن واتقاء الله فيهن.

وهن كذلك من خير متاع الدنيا أو هن خيره - إذا صلحن - فقد قال رسول الله ﷺ :"**الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة** "[2].

بل إن المرأة هى من ضمن ما حُبب إلي النبي ﷺ من الدنيا فهو القائل: "**حُبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة** "[3].

ولذلك أوصي ﷺ بالنساء في خطبة الوداع فقال:"**استوصوا بالنساء خيراً** "[4].

ولما لا وهو خير الناس لأهله فهو القائل:"**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى** "[5].

وقال ﷺ :"**خيركم خيركم للنساء** "[6].

ومن ثم فقد جعل النبي ﷺ حسن الخلق والإحسان إلي النساء من علامات كمال الإيمان والتفاضل في الخيرية علي التتابع فقال:"**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم** "[7].

ولكن كلٌ يؤخذ بحقه فلا تفريط ولا إفراط.

فانتبهوا يا أولي الألباب

(1) رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني (2333) ص.ج.
(2) رواه مسلم.
(3) رواه الحاكم والنسائي وصححه الألباني (3124) ص.ج.
(4) متفق عليه.
(5) رواه الترمذي وصححه الألباني (3314) ص.ج.
(6) رواه الحاكم وصححه الألباني (3316) ص.ج.
(7) رواه الترمذي وصححه الألباني (1232) ص.ج.

ثالثاً: اتباع الهوي:

لا بأس أن تهوي النفس أشياء وتميل إليها مادامت هذه الأشياء محكومة بشرع الله ومنهاجه وسنة رسولهﷺ، لكن من الناس من استبد به هواه فأينما ولاه تولي وأينما وجهه توجه... يحكمه هواه فيأمره وينهاه وهو لا يملك من أمر نفسه الشيء اليسير، فهو كالمغيب خلف ملذاته وشهواته يسير، يبيع الآخرة بعرض من الدنيا قليل، وكأنه فاقد العقل أو أقلها ذو عقل عليل.

فاتباع الهوي لا يأتي بخير أبداً... لا يأتي إلا بالضلال والفساد

قال تعالي:{وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ} [المؤمنون: ٧١].

وقال تعالي:{أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣].

وقال تعالي:{وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا} [الكهف: ٢٨].

فالهوي لا يصلح أن يكون متبوعاً بحال من الأحوال وإنما صلاحه أن يكون تابعاً لشريعة الله ﷻ تقوّمه وتهذبه وتنقي صاحبه وتؤدبه، قال رسول الله ﷺ :**"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به** - (1).

فإن كان هوي النفس هو المال فلا بأس ولكن من حِله وفي حِله وبقدره، وإن كانت النفس تهوي النساء فلا بأس ولكن من حِله وفي حِله وبقدره، فإن الله تعالي قد جعل لكل ما تهوي الأنفس مخرجاً حسناً في شريعته، وذلك من سابغ نعمته وبالغ حكمته وواسع رحمته، فإياك واتباع الهوي فإنه ظلم وضلال، ثم العاقبة في الآخرة سوء المآل.

قال تعالي:{وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(1) رواه الإمام النووي في الأربعين النووية وقال: حديث حسن صحيح.

يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [القصص: ٥٠].

وإياك إياك أن تكون من هؤلاء الذين أسرهم هواهم في قيوده وصاروا بمحض إرادتهم من خدمه وعبيده، يؤثرون الدنيا بفانيها علي حب الله ورسوله، فأولئك الذين توعدهم الله ﷻ بالضلال وعدم الهداية، فكما ضلوا في بادئ الأمر فهم ضالون حتى النهاية.

قال تعالي:{ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ } [التوبة: ٢٤].

وقال تعالي:{ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ} [إبراهيم: ٣].

وقال تعالي:{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ } [النحل: ١٠٧].

بل إن من سوي بين حبه لله وبين اتباع هواه فقد اتخذ لله تعالي نداً في الحب وما ينبغي ذلك لمؤمن.

قال تعالي:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ} [البقرة: ١٦٥].

فإنها لمصيبة كبرى أن يكون في القلب حب يطغي علي حب الله ورسوله، بل وإنها لمصيبة أن يكون في القلب حب مع حب الله ورسوله.

وإنما الحب الحق ما كان لله وفي الله وبالله، فالقلوب لا تتسع لحب الله تعالي والدنيا جميعاً، فإنما هي أوعية ولكل وعاء حد امتلاء.

فطوبي لمن كانت قلوبهم ملأي بحب الله، خالية من كل حب سواه.

فانتبهوا يا أولي الألباب

* * *

ماذا يجب أن يحب الناس!

لما كان الناس مختلفين فيما يحبون وفيما يكرهون، فكان المكروه عند قوم محبوباً لدي آخرين، وذلك باختلاف طبائعهم وصفاتهم وغاياتهم، حتى إن الشيء الواحد ليمدح من أناس وكأنه خير مطلق، ويذم من آخرين وكأنه شر مطلق، وكلا الفريقين لديه مبرر لمعتقده قانع به وراضٍ عنه.

لذلك لزم الأمر أن يرجع الفطن من الناس فيما يحب وفيما يكره إلي مقياس واحد لا يختلف عليه سلف ولا خلف، ولا يمرق عنه مارق ولا يفارق عنه مفارق إلا من أخلد إلي الأرض واتبع هواه.

هذا المقياس يعني أن نلجأ إلي صاحب العلم المطلق والحكمة البالغة يعني أن نلجأ إلي الله تعالي الذي يُستغني به ولا يُستغني عنه فنحب ما أحبه الله جل وعلا وإن كان كرهاً لنا أو لم يكن على وفق هوانا أو لم نتبين الحكمة منه أو حسبنا الشر فيه.

ونكره ما كره الله جل وعلا وإن كان محبوباً لنا أو كان علي وفق هوانا أو لم نتبين الحكمة منه أو حسبنا الخير فيه، وذلك لأن الله تعالي أعلم... وأن الله تعالي أحكم.

وتأمل قوله تعالي:{كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦].

وقال تعالي:{فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩].

وقال تعالي:{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ} [آل عمران: ١٧٩].

فليس الخير دائماً فيما نحب وليس الشر دائماً فيما نكره، فرب أمرٍ

تتقيه جر أمراً ترتضيه وذلك لظهور المكروه منه وستر المحبوب فيه، ورب أمر ترتضيه جر أمراً تتقيه وذلك لظهور المحبوب منه وستر المكروه فيه.

وحسبنا في ذلك ما أيده الواقع من شر في كثير مما نحب ومن خير في كثير مما نكره، فقبول الأمر يجب ألا يكون مرهوناً بمعرفة الحكمة منه أو ظاهر الخير فيه، وإنما قبوله يجب أن يكون لليقين بعلم الآمر وحكمته جل وعلا.

وتأمل حال موسي عليه السلام مع العبد الصالح لتعلم ذلك جيداً.

فسبحان من جعل في خرق السفينة نجاة للمساكين.

وسبحان من جعل في قتل الغلام نجاة أبويه في الدنيا وفي الدين.

وسبحان من جعل في إقامة الجدار عقاباً لقوم لئام وثواباً لذرية قوم صالحين.

ثم تأمل عتاب الله ﷻ لفريق من أصحاب نبيه ﷺ لما أخذوا بظاهر الأمر، قال تعالي:{كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ } [الأنفال: ٥].

فالبرغم من أن الخروج كان بالحق وبأمر الحق سبحانه وتعالي، لكنه لمّا لم تظهر الحكمة منه لفريق من المؤمنين كرهوا هذا الخروج، ليس الأمر كذلك وحسب بل هم بعد ذلك يجادلون، قال تعالي:{يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ } [الأنفال: ٦].

وكان الأولي بهم أن يقبلوا الأمر ويُقلبوا عليه إقبال المحب الموقن بحكمة الحكيم سبحانه... وبعلم العليم جل شأنه، فتطيب نفوسهم بقبول قضاء الله وقدره أياً كان هذا القضاء وأياً كان هذا القدر.

وربما يكون هذا هو المعني الذي قصد إليه عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما سمع أحد الصحابة رضي الله عنه يقول: " **أحب المرض تخفيفاً لذنبي،**

وأحب الفقر رقةً لقلبي، وأحب الموت شوقاً للقاء ربي ".

حقاً إنه كلام طيب خاصة وأنه نطق به لسان صادق عن قلب خاشع، وليست مجرد كلمات تفلتت من لسان لا يدرك لما يقول معني ولا يفهم لما ينطق مغزي، ولكن الأطيب من هذه الكلمات ما قاله عليّ ﷺ، فقد قال:

أحب المرض حينما أمرض لأن الله تعالي أراد ذلك.

وأحب العافية حينما أعافي لأن الله تعالي أراد ذلك.

أحب الفقر حينما أكون فقيراً لأن الله تعالي أراد ذلك.

وأحب الغني حينما أكون غنياً لأن الله تعالي أراد ذلك.

أحب الحياة مادمت حياً لأن الله تعالي أراد ذلك.

وأحب الموت حينما يقضي الله تعالي لأنه أراد ذلك.

وحب عليّ ﷺ للمرض والفقر والموت ليس لذات الأشياء هذه، فإنها أبداً لا تحب، فكما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها " **كلنا يكره الموت** "، وأنا أقول وكلنا يكره المرض ويكره الفقر، ولكنه يعني حب الرضا والتسليم لليقين بحكمة العليم الحكيم، وهذا ليس شأن علي وحسب ولكن جل أو كل أقرانه من الصحب الأخيار فإنهم قد رضوا عن الله تعالي في كل أحوالهم فرضي الله عنهم وأرضاهم.

وما من شك أنهم إنما تعلموا هذه الحكمة من النبي ﷺ لما علموه وسمعوه يّسلم الأمر كله لصاحب الأمر، فهو القائل: " **اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي** " [1].

وهو القائل: " **اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أخبت وبك خاصمت وإليك حاكمت** " [2].

وهو القائل: " **اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك**

(1) متفق عليه.
(2) متفق عليه.

من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب " (1).

ومن ثم فالمحب لا يكون محباً في وقت دون وقت ولا يكون محباً في شأن دون شأن ولا محباً في حال دون حال، ولكنه محب في كل وقت... محب في كل شأن... محب علي كل حال.

فإن كنت تحب الله تعالي لذاته فأحبب كل عطاياه.

فهو الذي يبتلي ويعافي... وهو الذي يعطي ويمنع.

وهو الذي يميت ويحيي... وهو الذي يقبض ويبسط.

فالمحب يحب ما يحبه محبوبه ويبغض ما يبغضه ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه ويرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويأمر بأمره وينهى بنهيه... فهو موافق لمحبوبه في كل حال.

فهو يحب من يحبهم الله تعالى من المحسنين والمتقين ومن الصابرين والمتوكلين ومن التوابين والمتطهرين وكل من اهتدى بهداهم، ويبغض من يبغضهم الله تعالى من الكافرين والخائنين ومن المفسدين والمتكبرين ومن الظالمين والمعتدين وكل من ضل سواهم، وهو حال حبه وحال كرهه إنما يكون ذلك لله وليس لذات الأشخاص، فهو يحب المحسن لا لإحسانه إليه ولا لمّنه وتفضله عليه ولكن بحب الله تعالى له... وكذا كل من أحبه الله، ويكره الظالم لا لظلم وقع منه عليه ولا لما أصابه من جرّاء يديه ولكن بكره الله تعالى له... وكذا كل من كرهه الله، فالمحب يحب في الله ما أحبه الله ولو خالف هواه، ويبغض في الله ما أبغضه الله ولو وافق هواه.

* * *

(1) رواه البخاري.

الحب والكره في الله تعالى هل يجتمعان!

هل من الممكن أن يكون في القلب الواحد حب وكره لشخص واحد في ذات الوقت! وكيف ذلك والحب والكره نقيضان، والنقيضان لا يجتمعان في مكان واحد فالحب والكره{هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [الفرقان:٥٣].

لكن المعنى الذي أقصد إليه هو:

هل من الممكن أن تكون هناك خصال في الإنسان يُحب لأجلها وخصال أخرى يُكره لأجلها؟

والإجابة نعم، فالمرء قد تجتمع فيه خصال من الخير وأخرى من الشر، وقد تجتمع فيه أسباب الولاية وأسباب العداوة، وقد تجتمع فيه أسباب الحب وأسباب البغض، فالحب والكره إنما يكون للصفات وليس للذات أو هكذا يجب أن يكون.

فقد يكون المرء محبوبا من وجه ومكروها من وجه آخرفكل طاعة يكون عندها محبوبا وكل معصية يكون عندها مكروها فلا ضير أن تكره الشجاع حال شحه وبخله وإن أحببته شجاعاً، ولا ضير أن تحب الجبان حال سخائه وعطائه وإن كرهته جباناً، ولكن أن تحب إنساناً فتحب كل ما يأتي وكل ما يدع هكذا مطلقاً سواء كان خيراً أو شراً.

فكلا الأمرين سواء بسواء... جهل وحمق وغباء.

وآه من الحمق كم أهلك أناساً فكّره إليهم الحق وحبب إليهم الباطل وزين إليهم الشر وقبح إليهم الخير.

فالحماقة داء دونه علم كل طبيب... وبلاء دونه حلم كل لبيب.

وأحسن من قال:

لكل داء دواء يستطب به ::: إلا الحماقة أعيت من يداويها

وآه من الجهل هو الآخر... فكم أعمى أبصارا وهتك أستارا... وكم أصم آذانا وأشقى أبدانا.

فكما أن العلم يرفع بيتاً لا عماد له... فإن الجهل يهدم بيت العز والكرم، حتى إن الله ﷻ أمر بالإعراض عن الجاهلين فذلك أنجى وأسلم قال تعالى:{ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ } [الأعراف: ١٩٩].

وامتدح قوماً بتجنبهم الجاهلين فذلك خير وأصوب قال تعالى: { وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ } [القصص: ٥٥].

" سلمنا الله من الجهل وأهله... وأنعم علينا بعلم ينفعنا بفضله "

* * *

هل تحب الله ﷻ؟

سؤال قد يبدو سهلاً يسيراً حتى إنه قد يجاب عليه قبل الانتهاء منه. سؤال إذا سألته لبر أو لفاجر، لصالح أو لطالح، لظالم لنفسه أو لسابق بالخيرات، لمن هو قريب من الله ﷻ أكمل قرب أو لمن هو بعيد عن الله كل البعد. كان جواب الجميع واحداً وهو نعم نحبه.

وذلك الجواب لا نكذب فيه أحداً ولا نرده على أحد حتى وإن كان من أصحاب الزلات والغفلات.

فإن كان المحب لمن يحب مطيعاً فليس دائما العاصي لمن يعصي كارهاً وإن كانت الطاعة هي أعظم براهين الحب ودلائله، فالعصيان قد يكون أحياناً لضعف أو لجهل أو لخطأ أو لنسيان، فلو أن كل عاصٍ كاره ولو أن كل مخطئ بعيد بخطاياه عن الحب لكان كل الناس كارهاً إلا المعصوم ﷺ. فهو الذي قال:**"كل ابن ادم خطاء** - [1]. فهل كل ابن آدم غيرمحب لله تعالى؟ بالطبع لا.

فلقد جيء برجل إلى النبي ﷺ ليقام عليه الحد في شرب الخمر وكان قد أُتي به قبل ذلك مرات فقال أحد الصحابة قولاً ينكر عليه فعلته وأنه لطالما أتي به في مثل هذا الموقف فقال النبي ﷺ :**"لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله** - [2].

سبحان الله، يحب الله ورسوله ويشرب الخمر!

نعم فقول الرسول ﷺ صدق فهو الصادق المصدوق

فالرجل لم يعص الله ﷻ تجبراً وتكبراً وعناداً أو استخفافاً بما حرم الله تعالى وما حد من حدود أو رداً للأمر على الآمر سبحانه، ولكن ربما

(1) أخرجه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني (4515) صحيح الجامع.
(2) رواه البخاري.

لأنه كان حديث عهد بإسلام طويل عهد بخمر فضعفت نفسه مرة أو مرتين لكن قلبه مفعم ونفسه ملأى بحب الله ورسوله، وربما بلغ بهذا الحب أن تاب فتاب الله عليه ثم أحبه فإنه تعالى يحب التوابين.

وقولنا هذا ليس تبريراً لعصيان العصاه ولكن نذكرهم وأنفسنا أنه ما بينهم وبين حب الله ﷻ إلا باباً واحداً ما طرقه طارق إلا وفتح له - ألا وهو: التوبة إلى الله ﷻ.

وكما أنه ليست كل معصية عن كره فليست كذلك كل طاعة عن حب فالإنسان قد يطيع لأن الطاعة وافقت هواه كصوم البخيل على نفسه فما صام زهدا ولا طاعة وإنما صام بخلاً وتقتيراً على نفسه فصام معصية ولم يصم طاعة، وكمن أعفى لحيته وما هو بصاحب سُنة وإنما أعفاها خداعاً ومكراً بالناس فظاهرها فيه سنة وباطنها من قبله فيه دنيا يصيبها ومآرب أخرى الله بها أعلم، وكالذي ينفق ماله رئاء الناس طمعاً في استحسان الناس، وكالذي يفعل الخير فيما يبدو للناس حباً في ثناء الناس وامتداحهم لفعله وليس لوجه الله خالصاً.

بل وقد يترك المعصية تارك لأنه لم يعد له إليها سبيل كتارك الزنا لضعف أو لمرض وما هو بتارك، وكتارك السرقة لكبر في السن أو لنفاد حيله وما هو بتارك.

ومن ثم فحب الله ﷻ يستطيع أن يّدعيه أي إنسان ولو لم يقم على دعواه دليل ولا يحق لأحد تكذيبه، فربما خفى من أمر العاصي في أعين الناس توبة جعلته من الله أقرب وربما خفى من أمر الطائع في أعين الناس كبر جعله عن الله أبعد، وذلك أن القلب الذي هو موطن الحب وعليه مداره لم يستأثر بتمام علمه إلا الله ﷻ... فلا الحفظة الكاتبون ولا الأهل المقربون ولا الشيطان الرجيم... يعلمون ما في القلب و لايستطيع أحد إلى ذلك سبيلا، فالحفظة من الملائكة يعلمون ما تفعلون ولكن لا يعلمون ما تكنون والأهل المقربون يعلمون ما تعلنون ولا يعلمون ما

تكتمون وحتى الشياطين وإن كانوا يروّنا من حيث لا نراهم فإنهم إنما يرون قوالب وفقط أما القلوب فقد ضلوا عنها فلا يستطيعون سبيلا.

لكن الله تعالى يعلم ما كان من أمر هذا القلب وما هو كائن وما سيكون. وذلك من بدء دقاته وحتى السكون. قال تعالى:{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ} [الملك: ١٤].

وقال تعالى:{ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ } [القصص: ٦٩].

وقال تعالى:{يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ } [غافر: ١٩].

وقال تعالى:{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ} [النجم: ٣٢].

وقال تعالى:{ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ} [الرعد:٨-١٠].

وقال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ } [آل عمران: ٥ - ٦].

وقال تعالى:{وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩].

وقال رسول الله ﷺ :**"إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء -** (1).

إذاً فليس لأحدٍ بالغاً من العلم ما بلغ أن ينكر على أحدٍ حبه لله تعالى وذلك أنه لا يعلم حقيقة ما في القلب إلا الله، فهو سبحانه الذي سواه، ويعلم ظاهره، وخفاياه، ويعلم سره ونجواه.

(1) أخرجه الترمذي وصححه الألباني (1685) صحيح الجامع.

لكنا مع كل ما أسلفنا فإنّا على يقين من أن لهذا الحب دلائل وآيات... وشواهد وعلامات... ترى فيما يأتي المرء وفيما يدع فقد أحسن من قال:

لا تخدعن فللحبيب دلائل ::: ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ::: وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ::: والفقر إكرام وبر عاجل

وشواهد الحب ودلائله وإن كانت كثيرة لكن مرجعها في الغالب إلى خمس شواهد جمعها الله تعالى في آيتين:

*** الشاهد الأول: اتباع النبي ﷺ :**

وهذا الشاهد آية وحده وهو في آية وحده. قال تعالى:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [آل عمران: ٣١].

*** الشاهد الثاني: أذلة على المؤمنين:**

أي: رحماء بهم مشفقون عليهم وهم في حال ذلهم للمؤمنين في علو فلم يقل الله تعالى أذلة للمؤمنين ولكن قال:**{أذلة على المؤمنين}**.

*** الشاهد الثالث: أعزة على الكافرين:**

أي يكونون عليهم كالأسد على فريسته موقنين أنهم في منعة من الله ﷻ وأن الله تعالى كافيهم إلا ما شاء.

*** الشاهد الرابع: الجهاد في سبيل الله تعالى:**

وذلك بالنفس والمال وكلمة حق تقال لا يبخلون بشيء من ذلك ولا يأمرون الناس بالبخل.

*** الشاهد الخامس: لا يخافون في الله لومة لائم:**

أياً كان هذا الخوف وأياً كان هذا اللائم فالله تعالى أحق أن يُخشى.

والشواهد الأربعة الأخيرة جمعها الله تعالى في آية واحدة.

قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ

ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ} [المائدة: ٥٤].

ومع هذا كله يقول أحد الصالحين: إذا قيل لك هل تحب الله؟ فاسكت فإن قلت: لا فقد كفرت وإن قلت: نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت.

فقد قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ} [الصف: ٢ - ٣]..

نعوذ بالله من الكفر والمقت

* * *

لماذا تحب الله ﷻ؟

اتفق الجميع على حبهم لله تعالى لكن ما من شك أنهم قد يختلفون في أسباب هذا الحب ودواعيه، فإذا ما سألت الناس لماذا يحبون الله فمنهم من يجد أن أكمل جواب وأبلغ صواب هو الصمت وربما يكون لديه الحق فيما آثر.

فليس كل لسان ذا بيان وقد يخطئ المرء من حيث أراد الصواب.

ومنهم من يجتهد في اختيار الكلمات التي يعبر بها عن أسباب حبه لله أيما اجتهاد... ولعله يصل إلى ما يرجو، فهل فكرت يوماً ما أن تسأل نفسك هذا السؤال. لماذا تحب الله؟

وهل اجتهدت لتبحث له عن جواب تقنع به وترضى عنه؟

أم أنك تجد أن الجواب هو الكون كله بما فيه من بعيد وقريب فلا يحتاج إلى بحث أو تنقيب، أم أنك لم تجهد نفسك بمثل هذا السؤال لقناعة منك ويقين أنه لا أحد يستطيع الجواب الأوفى عليه... فكل جواب قد يستدرك عليه، أم أنه لم يخطر لك على بال لأن الأمر ليس محل سؤال، ربما يكون لكل اختيار من هذه الاختيارات منطقه الذي يركن إليه صاحبه وحجته التي يستند إليها.

لكن على كل حال:

* من الناس من يرى أنه لحب الله ﷻ سبب واحد... وواحد فقط كما أن الله إله واحد، فإذا ما سئل لماذا يحب الله؟ قال أحبه لأنه هو الله.

وإنه لسبب دونه كل الأسباب. سبب قد أوجز صاحبه فأعجز وجمع صاحبه فمنع وربما لم يترك لغيره شيئاً يقال، اللهم إلا الطواف حول ما قال.

* ومن الناس من يرى أنه لحب الله ﷻ سببان. وذلك على رأي قول

القائلة وهي تناجي ربها وتقول:

أحبك حبين حب الهوى ::: وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى ::: فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له ::: فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ::: ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولكن يقيني:

أن أسباب حب الله ﷻ لا تُعد ولا تحصى فكل سبب للحب نعلمه أو لا نعلمه هو في الله تعالى على أكمل وأجمل وأجل ما يكون، ولمّا كنّا لا نستطيع لهذه الأسباب عداً ولا حصراً، فقد آثرت الحديث عن ثلاثة أسباب منها اعترافاً منّي بضعفي وإيماناً منّي بعجزي ويقيناً مني بتقصيري.... فاغفر اللهم وارحم... إنك أنت الأعز الأكرم.

أما السبب الأول عندي:

فهو حب الفطرة لا لسبب إلا لأن القلوب النقية والنفوس التقية التي عليها مدار الحب جُبلت على حب خالقها وبارئها حباً لا كيف له ولا وصف ولا يعلم سره ومداه ولا يعلم بدايته ومنتهاه إلا الله.

هب الرسل لم تأت من عنده ::: ولا أخبرت عن جمال الحبيب
أليس من الواجب المستحق ::: محبته عند كل لبيب
فمن لم يكن عقله بذا أمراً ::: فما له في العقل من نصيب
فإن العقول لتدعو إلى ::: محبة فاطرها من قريب
أليست على ذلك مجبولة ::: ومفطورة لا بكسب غريب

وأما السبب الثاني:

فلما اتصف به الله تعالى من صفات الكمال والجلال والجمال فكل صفة طيبة جبلت النفس السوية على حبها فهي في الله تعالى بتمامها وجمالها وكمالها وجلالها بما لا يحصى أحد وصفها ولا يطيق أحد حصرها.

فالنفس السوية جبلت على حب الكرم وهو أكرم الأكرمين، والنفس السوية جبلت على حب الرحمة وهو أرحم الراحمين، وقل في ذلك ما شئت فلن تفي، واجتهد ما شئت فإنك مقصر.

فمن ذا يشابه أوصافه ::: تعالى إله الورى عن ضريب
أليس جميلا يحب الجمال ::: تعالى إله الورى عن نسيب
ومن ذا يكافئ إحسانه ::: فيألهه قلب عبد منيب

أما السبب الثالث:

فلعظيم فضله وإحسانه على خلقه ولآياته التي هي ملء السمع والبصر فكل ما في الكون بعض من آلائه التي لا تعد، ولا شريك له في نعمائه ولا ند ولا نهاية لعطاياه ولا حد.

وإنّا لا نقصد بذلك إجمالاً لآلاء... حاشا لله.

ولا نقصد بذلك عداً لنعماء... تعالى الله.

ولا نقصد بذلك إحصاءً لثناء... سبحان الله.

فلا يظنّن بنا أحد هذه الأشياء... فإنّا منها براء.

وإنما ذِكر وتذكر... وفكر وتدبر.

فتدبر معي قطرة من فيض كماله وعظيم جلاله... فهو وحده الذي:

يخلق ويرزق... ويعز ويذل

ويميت ويحيي... ويهدي ويضل

ويقلبّ الليل والنهار... ويعلم الجهر والإسرار... ويداول الأيام بين الناس

وهو وحده الذي:

أحاط بكل شيء علما... وقهر كل مخلوق عزة وحكما

أحصى كل خلق عددا... وأمدهم وليس من غيره المدد

وسع كل شيء رحمة... ومن فضله ما بالخلق من نعمة

وسع سمعه الأصوات... فلا تختلف عليه ولا تتشابه

ولا تغيب عنه ولا تتداخل... ولا يشغله سمع عن سمع
ولا تغلطه كثرة المسائل... ولا يتبرم بإلحاح السائل
أحاط بصره بجميع خلقه على السواء
فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء
{ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ } [آل عمران: ٥].

وهو وحده الذي:

الغيب عنده شهاده... والسر عنده علانيه
وعنده بعد دعاء الخلق زياده... والقلوب إليه مفضية
له الخلق والأمر والكل له عبد... وله الملك كله وله الحمد
وسعت قدرته كل شيء... ووسع علمه كل شيء
ووسعت رحمته كل شيء... ووسعت نعمته كل شيء
يغفر الذنوب... ويفرج الكروب...
ويقلب القلوب... ويستر العيوب
يغني فقيراً... ويجبر كسيراً...
ويفك أسيراً... وييسر عسيراً
يفرج هماً... ويكشف غماً...
ويعلم جاهلاً... ويهدي ضالاً
يرشد حيراناً... ويغيث لهفاناً...
يشبع جائعاً... ويكسو عارياً
يشفي مريضاً... ويعافي مبتلى...
يقبل تائباً... ويرد غائباً
يجزي محسناً... ويكفي مؤمناً...
ينصر مظلوماً... ويمنع معصوماً

يقصم جباراً... ويقبل أعذاراً...

أولى من شكر... وأحق من حمد

أكرم من تفضل... وأرحم من قصد...

لا ناقض لما بناه... ولا حافظ لما أفناه

ولا مانع لما أعطاه... ولا راد لما قضاه

{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ} [لقمان: ٢٥].

لا مظهر لما أخفاه... ولا ساتر لما أبداه

ولا مضل لمن هداه... ولا هادي لمن أعماه

{وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ} [الزخرف: ٨٤].

سالت الجوامد لهيبته ولانت... وذلت الصعاب لسطوته وهانت

قدر التقدير فلا راد لحكمه... وعلم سر العبد وباطن عزمه

يعلم ما كان في السر والجهر... يقصم الجبابرة بالعز والقهر

محصي قطرات الندى وحبات القطر... أقرب إلى العبد من العنق إلى النحر

{هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ} [يونس: ٢٢].

خلق فسوى وقدر الأقدار... يعلم ما سيكون قبل أن يكون من أسرار

أحصى حبات الرمال وقدر قطرات الأمطار... لا يعزب عنه من ملكه شيء

{ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ} [الرعد: ١٠].

أبدع الكون فنظمه... وخلق الإنسان وكرمه

وسن الدين وعظمه... وأنزل الكتاب وأحكمه

القديم في مجده... الكريم في رفده

الرحيم... فكل خير من عنده

اللطيف... في كل حال بعبده

يخوف بوعيده ويشوق بوعده

{أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ} [الزمر: ٣٦].

قدر فاهتدى من هداه وضل من لم يهده

لا يعزب عن سمعه صوت المضطر بعد جهده

يرى جريان دم العبد في عرقه وجلده

ويعلم ما في باطن سره من بره وحقده

وعزمه وحزمه وبغضه ووده

وغمه وهمه وسهوه وقصده

وحلمه وعلمه ورضاه وزهده

ولفه ونقضه وأخذه ورده

فلا يصل عقل إلى كامل صفاته... بل يقف العقل عند حده

{وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ} [الإسراء: ٤٤].

بيده الإيجاد والإنشاء... والإماتة والإحياء

والإعادة والإبداء.... والإنعام والآلاء

يعطي من يشاء ويمنع من يشاء

لا واضع لما رفع... ولا رافع لما وضع

ولا واصل لما قطع... ولا مفرق لما جمع

ولا معطي لما منع... ولا مشابه لما صنع

سبحانه عز فارتفع... وعلا فامتنع

وذل كل شيء لعظمته وخضع

مسبب الأسباب... ومنزل الكتاب... ومنشئ السحاب

{غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ} [غافر: ٣].

سير بقدرته الفُلك والفلك
ودبر بصنعته النور والحلك
من أراد له النجاة ولو في البحر نجى
ومن أراد له الهلاك ولو في البر هلك
تعالى عن وزير... وتنزه عن نظير
يقبل من خلقه اليسير... ويعطي من رزقه االكثير
{إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: ٢٢].
عظيم كريم كان ولم يزل
يغفر الذنب ويعفو عن الزلل
تنزه عن النقص والعلل
خلق الخلق ولم يتركهم همل
يتصرف في خليقته كما شاء عزاً وسلطاناً
عم المذنبين برحمته عفواً وغفراناً
حكم في بريته فأمر ونهى
وأقام بمعونته ما ضعف ووهى
وأيقظ بموعظته من غفل وسها
{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ} [طه: ٥٤].
قسم الخلائق سعيداً وشقياً
وقسم الرزق فترى فقيراً وغنياً
فتأمل تدبيره{هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥].
لا يعزب عن سمعه أقل الأنين
ولا يخفى على بصره حركات الجنين
{وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ

إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩].

أحكم الأشياء كلها صنعاً... يتصرف كما شاء إعطاءً ومنعًا

أنشأ الآدمي من قطرة فإذا هو يسعى

وخلق له عينين ليبصر المسعى

ووالى عليه النعم وتراً وشفعاً

أجرى بإنعامه للعاملين أجراً

وأسبل بكرمه على العاصين ستراً

ودبر أحوال الخلق غنى وفقراً

لا ند له فيبارى... ولا ضد له فيجارى

ولا شريك له فيدارى... ولا معترض له فيمارى

سبحانه متفرد بالعز والجلال

متفضل بالعطاء والإفضال

{ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ} [يونس: ٣٢].

مالك الملك والممالك...

عالم بكل المسالك

الكل إلا وجهه هالك

وكل ما خطر ببالك... فهو ليس كذلك

أول لا قبل آخر... وآخر لا قبل أول

من أحبه رزقه طاعته... وحال بينه وبين معصيته

ووقاه السيئات... ويسر له الطاعات

ومن خذله وكله إلى نفسه

وأعماه فلم يدر يومه من أمسه

وجعل كل أيامه وكأنها يوم نحسه

تقدس عن اعتقاد أهل التعطيل
وتعالى عن قول أهل التمثيل
وكل قول غير ما قال كأنه ما قيل
فقد أبان للعقل على وجوده كل دليل
وهدى القلوب إليه بفضله كل سبيل
{ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ} [الزمر: ٦٢].
خلق الخلق وفضل بعضهم على بعض
فلا يستوي عنده قائم بنافلة وفرض
ومن أتبع نفسه هواها وأخلد إلى الأرض
ومن فضله كلم موسى فقيل الكليم
ومن فضله فهم سليمان فصار الحكيم
وعلم محمداً ما لم يكن يعلم... وكان فضل الله عليه عظيماً
{ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ} [الجمعة: ٤].
سبحانه لم يزل عظيماً علياً
يخذل عدواً وينصر ولياً
ويقرب تقياً ويبعد شقياً
استوى على العرش وما العرش يحمله
وينزل لا كالمتنقل تخلو منازله
يفعل ما يشاء ولا أحد من خلقه يسائله
أقرب إلى خلقه من حبل الوريد
أرحم بعباده من أم بوليد
بدأ الخلق بقدرته وأهون عليه أن يعيد
{إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ} [إبراهيم: ١٩].

قاهر المتجبر ومذلّه
ورافع المتواضع ومجلّه
القريب من عبده... فهو أقرب إليه من ظله
أحكم بحكمته ما فطر وبنى
وقرب من خلقه برحمته ودنا
فالق النوى والحب
خالق الفاكهة والأب
عليم بانكسار من ندم وإصرار من أصر
حليم فإن سطا رأيت الأمر الأمر
ويوم القيامة{إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ} [القيامة: ١٢].
يقيل عثرة... ويستر عورة
يشبع جوعة... ويؤمن روعة
يرفع أقواماً... ويضع آخرين
لا يهزم حزبه.. ولا يغلب جنده
ولا يخاف وليه... ولا يخذل صفيه
ولا سلطان على عباده الأتقياء إلا له
ينفق فلا يغيض ما في يمينه
ويعطي فلا ينقص شيء من ملكه
قلوب العباد ونواصيهم بيده
وأزمّة الأمور معقودة بقضائه وقدره
يمنع من يشاء بحكمته ويعطي من يشاء برحمته
لا معقب لحكمه ولا راد لفضله
الحلال ما أحل.. والحرام ما حرم.. والدين ما شرع

أنصر من ابتُغى... وأرأف من ملك... وأحكم من حكم
أعفى من قدر... وأجود من سُئل... وأعدل من انتقم
حلمه عن علم... وعفوه عن قدرة
ومغفرته عن عزة... ومنعه عن حكمة
كل شيء هالك إلا وجهه
وكل ظل قالص إلا ظله
وكل ملك زائل إلا ملكه
وكل فضل منقطع إلا فضله
لن يطاع إلا بإذنه ورحمته
ولن يُعصى إلا بعلمه وحكمته
يُطاع فيشكر... ويُعصي فيغفر
فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية
كل نقمة منه عدل... وكل نعمة منه فضل
أقرب شهيد وأدنى حفيظ
يحول بين المرء وقلبه
ويأخذ بالنواصي والأقدام
عطاؤه كلام... وعذابه كلام... فأمره ما بين الكاف والنون
{إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ } [يس: ٨٢].
حرم الظلم على نفسه فلا يظلم أحداً
وخلق الإنسان عجولاً ولا يعجل أبداً
وخلق الخلق وأحصاهم عدداً
وقسم الأرزاق ولم ينس أحداً
لا تدركه الأفهام... ولا تحيط به الأوهام

حي لا يموت... قيوم لا ينام

لا يصفه الكلام...

{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ } [لقمان: ٢٧].

{ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ } [غافر: ٦٤].

لهذا كله ولغيره أكثر فإن دواعي حب الله ﷻ مكتملة عند النفس السوية لا يحيطها علم إنسان ولا يحصيها بيان ولا يشوبها ذرة نقصان.

ومن ثم فمنتهي الخذلان والخسران أن يحرم عبد حب الله تعالى ثم يُبتلي بمحبوب سواه، وأي خذلان أكبر وأي خسارة أكثر من أن يحرم عبد من حب الكبير المتعال ثم يهيم حباً في مخلوقٍ مثله يتقلب ما بين ضعف ونقص وعجز ثم هو بعد ذلك إلى زوال لا محالة.

إن أحد الصالحين سمع من يقول لمحبوبه وقد خلا به: " أنا والله أحبك... وأملكك كل ما أملك... ثم أنفق عليك روحي حتى تهلك ".

وقرأ مكتوبا قد كتبه محب لمحبوبه يقول فيه:

هذا كتابي إليكم فيه معذرتي ::: ينبيكم اليوم عن سقمي وعن ألمي
أجللت ذكركم عن أن يدنسه ::: لون المداد فقد سطرته بدمي
ولو قدرت على جفني لأجعله ::: طرسي وأبرى عظامي موضع القلم
لكان هذا قليلا في محبتكم ::: وما وجدت له والله من ألم

فقال: سبحان الله... هذا خلق لخلق... وعبد لعبد... فكيف بخلق لخالق... وكيف بعبد لمعبود؟!

فاعلم أنك وأحب الأشياء إليك بل وأحب الناس إليك كلاكما هبة من الله تعالى للآخر. قال تعالى:{ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ } [النحل: ٥٣].

فكيف يعلو حب الموهوب في قلبك على حب الوهاب جل شأنه وهو إنما وهبك ما وهب وأعطاك ما أعطى لتزداد له حباً وتزداد منه قرباً، لا

لأن تنشغل عنه بهباته وعطاياه، ولا لأن تهيم حباً في عطاياه وتنساه، فإن فعلت فقد أقمت بنفسك الحجة على نفسك وغداً يأتي يوم لا ينفعك فيه من تحبه ولا من يحبك فالنجاة أن تعي{فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ} [الذاريات: ٥٠]، فلا نجاة في سواه.

* * *

الحب في الله ﷻ

الأصل أن تحب الله ﷻ بكل ما وسع قلبك ثم تحب كل من شئت وما شئت في الله أو لله فلا بأس، فمن أوثق عري الإيمان الحب في الله جل وعلا، لكن أن تحب مع الله ﷻ شيئا فذاك شرك في الحب فشتان ما بين الحب في الله والحب لله من ناحية وبين الحب مع الله من ناحية أخرى.

إن الإيمان مرهون بحب الله تعالى وحب من أحبه وما أحبه ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال:**"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرأ لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار -** (1).

فمن كمال الإيمان أن تحب الخير لأخيك المسلم حبه لنفسك فرسول الله ﷺ قال:**"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه -** (2).

وقال ﷺ:**"من أحب لله وأبغض لله وأعطي لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان -** (3).

بل إن الرجل ليبلغ بحبه لأخيه منزلة لا يبلغها إلا بهذا الحب فقد قال رسول الله ﷺ:**"ما تحاب اثنان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه -** (4).

بل إن الرجل بحبه لأخيه المسلم يكون سابع سبعة يظلهم الله تعالى بظله يوم لا ظل إلا ظله وذلك قول النبي ﷺ:**"ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه -** (5).

---

(1) متفق عليه.
(2) متفق عليه.
(3) رواه أبو داود وصححه الألباني 5965 ص.ج.
(4) رواه البخاري.
(5) متفق عليه.

وقال ﷺ:**"ما أحب عبد عبداً لله إلا أكرم به -** [1].

ولتكتمل هذه المحبة لابد وأن تكون على عمومها حتى أنها لتشمل البر والفاجر، وقد يقول قائل هذا البر فما بال الفاجر؟

أما محبة الفاجر فلا نعني بها محبته لذاته ولكن نحب له الهداية إلى الصراط المستقيم فقد كان رسول الله ﷺ يحب الهداية للناس أجمعين حتى أنه ليبكي عندما تتفلت منه نفس كافرة بالموت إلى النار. وأما محبة البر فتعني أن تحب له الثبات على ما هو عليه من الهداية بل ويزيد وهو حب أولى وأوجب وذلك أنه من كمال الإيمان. فأحبب من شئت واجهر بحبك لهذا وهذا مادام حباً لله وفي الله فقد كان النبي ﷺ يجهر بحبه لمن أحب ويأمر أصحابه بذلك لعلمه أن ذلك يؤلف بين القلوب ويخلصها من كل ما يشوب.

فقد قال ﷺ:**"إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليعلمه فإنه أبقي في الألفة وأثبت في المودة -** [2].

ومن ثم فقد قال ﷺ لمعاذ:**"يامعاذ والله إني لأحبك -** [3].

وسئل عن أحب الناس إليه؟ قال:**"عائشة -** [4]. فقيل له فمن الرجال؟ قال:**"أبوها -** [5].

وقال:**"لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله -** [6]، يعني: علياً رضي الله عنه.

وقال في الحسن والحسين رضي الله عنهما:**"من أحب الحسن والحسين**

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده وحسنه الألباني 5516. ص.ج.
(2) رواه ابن أبي الدينا وحسنه الألباني 280 ص.ج.
(3) أخرجه النسائي وأبو داود وصححه الألباني 7969 ص.ج.
(4) متفق عليه.
(5) متفق عليه.
(6) رواه البخاري.

فقد أحبني ومن بغضهما فقد أبغضني - [1].

وبدا للناس من حبه ﷺ لزيد أن لقبه الناس بزيد بن محمد ثم بدا لهم من حبه لأسامة بن زيد أن لقبه الناس حِب رسول الله ﷺ. وقال ﷺ:"**من أحبني فليحب أسامة** - [2].

" **وجعل من علامة الإيمان: كذلك حب الأنصار** " [3].

وغير ذلك كثير كثير فلقد سئل النبي ﷺ عن الحب فقال:"**إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله** - [4].

فأكثر من الحب في الله تعالى يأخذ بيدك هذا الحب إلى الخير كله يوم ينادي مالك الملك جل وعلا: علي أولئك المتحابين... "**أين المتحابون لجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي** - [5].

وينادي:"**حقت محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتواصلين فيّ وحقت محبتي للمتزاورين فيّ وحقت محبتي للمتباذلين فيّ وحقت محبتي للمتناصحين فيّ** -. وينادي:"**المتحابون فيّ علي منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء** - [6]. وينادي:"**حقت محبتي علي المتحابين أظلهم في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلي** - [7].

وهذا رسول الله ﷺ يقسم ويقول:"**والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم علي شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم** - [8].

---

(1) رواه الحاكم وصححه الألباني 5954 ص.ج.
(2) رواه مسلم.
(3) متفق عليه.
(4) رواه ابن حبان.
(5) رواه أحمد وحسنه الألباني 2009 ص.ج.
(6) رواه مسلم.
(7) رواه ابن أبي الدنيا وصححه الألباني 4380 ص.ج.
(8) رواه مسلم.

* * *

ماذا يعطي حب الله ﷻ للمحب!

إذا كان الناس أشد ما يكونون حرصاً على أن يحبهم الناس وربما يطرقون لأجل هذه الغاية كل باب، ويبذلون من أجلها كل نفيس حتى ولو أدى الأمر أن يضحوا بالغالي قبل الرخيص، وذلك لما يمثله حب الناس للناس من قيمة لا تغني عنها كل القيم ومن عطاء دونه كل عطاء وأن الحب يشبع في النفس حاجات لا يشبعها إلا الحب، فإنها لسعادة أن تشعر أن الناس تحبك حباً خالصاً لا لشيء ينقضي ولا لشيء يزول الحب بزواله، وإن شئت فتأمل حال إخوة يوسف عليه السلام وما كان منهم، إن سبب ما فعلوه بأخيهم إنما كان شعورهم أنه أحب منهم إلى أبيهم.

قال تعالى:{ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ } [يوسف: ٨].

فلم تطمئن قلوبهم ولم تهدأ نفوسهم ولم تقر عيونهم حتى فعلوا ما فعلوه بأخيهم وأبيهم، فلم يرحموا الشيخ لكبره... ولم يرحموا الطفل لصغره.

كل ذلك في سبيل سعيهم وحرصهم على حب بشر مثلهم حتى ولو كان هذا البشر نبياً مرسلاً وهو من قبل ذلك أبوهم، وليس الحال حال إخوة يوسف عليه السلام وحسب، (وإن شئت فتأمل حال البشر مع البشر في الحب، تجد آيات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فربما تأخذ بالقهر من الخلق فوق ما كنت تريد.

وربما تأخذ بالسلطان ما كنت تأمل ويزيد.

ولكن ما يؤخذ بالحب فوق هذا وهذا بأمد بعيد.

فما بالك لو أحبك الله الحميد المجيد.

فلعلك تسمع بأذن قلبك:{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥]، ويسهل عليك في سبيل

حبه كل جهد جهيد.

هذا الإله العظيم الذي يملك القلب وما أحب بل ويقلبه كيف يشاء بل ويحول بينه وبين صاحبه.

ألا يستحق حبه أن يبذل لأجله النفس والنفيس... ويضحي لأجله بالغالي لا بالرخيص.

ويستغني به عن كل حب سواه... ولا يكون في القلب إلا حب الله.

والله إنه لجدير بذلك وأكثر... جدير ألا يكون في القلب إلا حب الله.. وحب لله.. وحب في الله.

وذلك أن الخير كل الخير والنجاة كل النجاة في هذا الحب وليس ذلك في حب سواه، بل وفيه من خيري الدنيا والآخرة ما لا يحصى ولا يعد وما لا يعرف له نهاية ولاحد، ونذكر من ذلك الخير الشيء اليسير وإن كان بالكثير جديراً.

*** حبك لله يجعل من الصعب سهلا:**

ألم تر أن الرجل ليتحمل الصعاب الثقال.

ويقوى على الشدائد والمحال في سبيل ما يحب ومن يحب، كذلك حبك لله ﷻ يجعلك تتلذذ بالوقوف بين يديه والناس نائمون.

ويجعلك تسعد بذكره والناس غافلون.

ويجعلك تقبل عليه والناس عنه مدبرون.

ويجعلك تفر إليه في حين الجاهلون منه يفرون.

وتأمل... ما كان رسول الله ﷺ ليترك أحب البلاد إليه التي فيها نشأ وبين أهلها تربى، هذا البلد الأمين الذي قال عنه:**"والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليّ ولولا أني أخرجت منك ما خرجت** - [1].

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني 7089 ص.ج.

هذا البلد الأمين الذي كان الحجر من أحجاره يحبه ويسلم عليه في غدوه ورواحه، فقد قال ﷺ: **"إن في مكة حجراً كان يلقي علي السلام قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن -** [1].

فما كان ليتركها ﷺ لو لم يكن الله ﷻ أحب إليه من كل مخلوق حتى ولو كانت مكة التي فيها مولده ومهده وصباه، وما كان إبراهيم عليه السلام ليسّلم ويستسلم لأمر الله لما أمره بذبح ولده الذي ظل دهراً من الزمان يتمناه حتى سمع{ وَبَشَّرْنَاهُ}، لو لم يكن الله ﷻ أحب إليه من كل مخلوق... فنزل الأمر على قلبه برداً وسلاماً. كما كانت النار من قبل برداً وسلاماً.

وما كان أبو بكر رضي الله عنه ليترك أهله وبلده وينفق ماله كله في سبيل الله لو لم يكن محباً لله ورسوله حباً دونه كل حب، حبا دونه النفس والمال والأهل والوطن.

وما كان بلال رضي الله عنه ليتحمل ما تحمل من العذاب حتى إنه قد هانت عليه نفسه في الله لو لم يكن لحب الله حلاوة في قلبه غلبت حرارة الشمس المحرقة فشغلته بذكر من أحب ونسى ما يكابد من الآلام.

وما كان صهيب رضي الله عنه ليترك ثمرة جهده السنين الطوال راضياً غير ساخط، فرحاً غير مهموم إلا لأنه قد أحب الله ورسوله حباً قد أغناه وكفاه عن كل ما سواه، فأخذ الكافرون ماله وخسروا.. وترك صهيب ماله وربح.

وما كان سلمان رضي الله عنه ليذهب في رحلة حب طويلة يبحث فيها عن رسول الله ﷺ... يطوف لذلك البلدان.

وينزل قيعاناً، ويقطع وديانا...

ويلاقي في سبيل ذلك كل هوان.

حتى أنه ليسرق ويباع وكان في قومه من قبل عزيزاً لا يهان.

(1) رواه مسلم.

لكن حب الله ورسوله كان عليه أعز، لكن تأمل مردود حبه لله ورسوله، إن الله قد أمر المسلمين أن يصلوا عليه في كل صلاة إلى يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين.

*** لكن كيف هذا؟**

ألا يقول المصلي في صلاته: " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد " ؟

ألم يقل الرسول ﷺ:**"سلمان منا آل البيت -** [1].

فصار من آل بيت النبي بقول النبي ◘ فشملته الصلاة، فانظر ماذا فعل الحب بأهله؟

*** حبك لله يقطع الوساوس**

وذلك أن القلب الذي تتحكم فيه الوساوس إنما هو القلب الخرب الفارغ من محبة الله ﷻ، فصار المجال فيه رحبا أمام الشيطان ليغدو فيه ويروح ويصول فيه ويجول وقد وجد فيه موطناً وملاذاً وطاب له فيه المستقر فخسر صاحبه الدنيا والآخرة أدهى وأمر، أما من ملأ قلبه حب الله فلا مجال للشيطان أن يتحكم فيه. اللهم إلا نزغات ثم يتذكر فإذا هو مبصر.

*** حبك لله يهون المصائب**

من يحب الله ﷻ يوقن أن ما يصيبه إنما هو بإرادة الله الخالق سبحانه وتعالى وهو يعلم أن الخالق مالك وللمالك أن يتصرف في مملوكه كيف يشاء، ثم هو يوقن أن تصرفه هذا بحكمة بالغة فيسلم تسليم مملوك لحكيم فهو لا يخاف ظلماً ولا هضماً.

خاصةً... وأن أمره كله خير فقد قال رسول الله ﷺ : " **عجباً لأمر المؤمن فإن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابه خيراً شكر**

(1) مصنف ابن أبي شيبه والحاكم في مستدركه.

فكان خيراً له، وإن أصابه شراً صبر فكان خيراً له " [1].

خاصةً... لو علم أن الله وهو مالك الملك يكره مساءته فقد قال تعالى في حديث قدسي:

" **ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته** " [2].

فإذا علم المحب ذلك من أمر ربه لهانت عليه الدنيا بأجمعها ولقبل من محبوبه أي شيء وكل شيء لا لشيء إلا ليزداد له حبا... فحبه غاية وحده.

*** حبك لله يورث قلبك الفرحة:**

كان النبي ﷺ جالساً بين أصحابه فإذا بأعرابي ينادي عليه: يا محمد متى الساعة؟، فقال رسول الله ﷺ:"**ويحك إن الساعة لآتية فما أعددت لها؟** - قال: والله ما أعددت لها كثير صلاة ولا كثير صيام ولكني أحب الله ورسوله.

فقال رسول الله ﷺ:"**المرء مع من أحب** - [3].

قال الصحابة: ما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحنا بقول النبي ﷺ:"**المرأ مع من أحب** -.

فتأمل بعض ما يعطى الحب لأهله ثم راجع نفسك واسألها من تحب وأعلم أنك في معية من تحب أو في جواره ليس غير.

* * *

(1) رواه مسلم.
(2) رواه البيهقي وصححه الألباني 1782 ص.ج.
(3) رواه مسلم.

هل يحبك الله ﷻ ؟

برهّنا فيما سبق أنه لكل إنسان أن يدّعي أنه يحب الله ﷻ وليس لأحد أن ينكر عليه هذا الحب... فلا يعلم حقيقة قوله هذا إلا الله جل وعلا، لكن هل لأحد أن يدعي أن الله ﷻ يحبه؟

فمن قال بذلك فعليه أن يقيم على قوله هذا بينة وبرهانا وأن يكون لديه إجابات على أسئلة عديدة منها: من أنت حتى يحبك الله جل وعلا؟ وماذا فعلت حتى يخصك الله بهذه النعمة الكبرى والمنة العظمى والمكانة الأسمى؟ ومن أنبأك بهذا النبأ العظيم؟

ولا يقولن أحد نحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله يستدعي حسن العمل وإلا فهو كذب محض، إن المحب وحده هو الذي يخبر عمن يحب، فالله وحده هو الذي يقول وقوله الحق... وهو الذي يخبر وخبره الصدق فيمن يحب وفيمن يكره.

لكن بعض الناس يضعون لحب الله تعالى للناس معايير وهمية من عند أنفسهم هي محض افتراء على الله ﷻ ثم يصدقون أنفسهم ويغرهم في دينهم ما كانوا يفترون، فكثيرا ما يحكم الناس على الأشياء بأهوائهم المريضة أو بفهمهم الخاطئ أو بعقولهم القاصرة بل ويتمادون في إصدار تلك الأحكام بناءً على معايير هم صانعوها ومصدقوها وكان أولى بهم أن يرجعوا الأمر لصاحب الأمر. قال تعالى:{أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الأعراف: ٥٤].

وكان أولى بهم أن يحكموا الله ﷻ في كل شيء لا أهواءهم. قال تعالى: {إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [يوسف: ٦٧].

وقال تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠]. وليعلموا أن من خالف فقد ضل واعتدى ومن أسلم فقد هدي إلى صراط مستقيم، أما

المعايير الوهمية التي وضعوها لبيان حب الله للعباد فعامتها ما يلي:

*** العطاء والمنع:**

وليس العطاء دائماً دليل حب وليس المنع دائماً دليل بغض كما يعتقد الكثير من الناس. بل قد يكون الأمر على العكس من ذلك تماما. فإن الله جل وعلا يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب بل قد يُمنع الناس من بعض عطايا الدنيا بحب الله تعالى لهم، فقد روى أن رسول الله ﷺ قال: **"اللهم من آمن بك وشهد أني رسولك فحبب إليه لقاءك وسهل عليه قضاءك وأقلل له من الدنيا ومن لم يؤمن بك ويشهد أني رسولك فلا تحبب إليه لقاءك ولا تسهل عليه قضاءك وكثر عليه الدنيا -** [1].

وها هو ذا رسول الله ﷺ يمر عليه الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار... وهو خير خلق الله.

ويخرجه الجوع من بيته لعله يُدعى إلى طعام... وهو خير خلق الله.

ويربط على بطنه الحجر والحجر من شدة الجوع... وهو خير خلق الله.

ويصوم حين لم يجد في بيته طعاماً... وهو خير خلق الله.

ويموت وهو لم يشبع من طعام قط... وهو خير خلق الله.

كل ذلك في ذات الوقت الذي فيه من الكافرين من يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام وقد أوتي من ملذات الدنيا ما يشتهي وما لم يخطر له على بال، ولو كان مثل هذا العطاء دليل حب والله ما أعُطى أحد مثل ما أعُطى رسول الله ولو كان المنع دليل بغض ما سقى الله ﷻ أحداً من الكافرين شربة ماء.

وعلى الجانب الآخر فقد أعطى الله ﷻ نبيه سليمان عليه السلام ملكاً لم ينبغ لأحد من بعده، فقد كان له جنوده من الجن والإنس والطير... يعملون له

(1) رواه الطبراني وصححه الألباني 1311 ص.ج.

ما يشاء ولا يعصون له أمر، والرياح مسخرة له غدوها شهر ورواحها شهر، كل ذلك ومن الكافرين من أذاقه الله لباس الجوع والخوف، ولو كان العطاء دليل بغض ما أعطى سليمان عليه السلام ما أعطى وما أتاه الله من الملك ما آتاه ولو كان المنع دليل حب ما مُنع الكافرون من الدنيا شيء، فالأمر ليس أمر منع وعطاء فكلاهما ليس دليل حب ولا بغض.

ولكن انظر ماذا فعل صاحب المنع أصبر أم ضجر؟

وانظر ماذا فعل صاحب العطاء أشكر أم كفر؟

واعلم أن الله ﷻ قد يمنع الرجل يحبه الدنيا كما يمنع أحدكم سقيمه الماء، ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الأهواء.

*** إجابة الدعوة:**

إن الله تعالى قد يستجيب لدعوة الداع لحبه له كما استجاب لرسله وللصالحين من عباده فيما دعوه، لكنه قد يستجيب أيضاً لقوم وهو لهم كاره ليقيم الحجة عليهم بما طلبوا أو يستجيب لهم لأن دعوتهم وافقت سابق حكمته ومقتضى مشيئته، ومن ذلك أن إبليس لما طلب من الله ﷻ أن ينظره إلى يوم القيامة أجابه الله إلى طلبه الذي وافق سابق حكمته ومقتضى مشيئته، قال تعالى:{ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ} [الحجر: ٣٦ - ٣٨].

إبليس هذا الذي لعنه الله وأبعده... وجعل النار مثواه وأخلده.

وإذا لم تكن إجابة الدعوة دليل حب على الدوام فكذلك عدم إجابتها ليس دليل بغض على الدوام، وإلا استجاب الله ﷻ لأنبيائه ورسله وهم خيرة خلقه في كل ما دعوه وهذا ما لم يحدث.

فهذا نوح عليه السلام يدعو ربه قائلا:{رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ} [هود: ٤٥].

فيقول الله تعالى:{قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ } [هود: ٤٦]. فلم يجبه إلى ما دعاه من نجاة ولده.

وهذا إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه بما وعده إياه، قال تعالى:{ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا } [مريم: ٤٧].

وقال تعالى:{ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ} [التوبة: ١١٤].

ولكن شاء الله أن يكون من أصحاب الجحيم ولم يجب إبراهيم عليه السلام إلى دعواه، قال تعالى:{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: ١١٤].

وهذا موسى عليه السلام فيما روى عنه في الأثر يدعو ربه قائلا: " اللهم إني أسألك أن يرضى عنّي كل الناس ". فيجيب الله جل وعلا عليه قائلا: " يا موسى إني لم أجعلها لنفسي ".

وهذا خير خلق الله قاطبة... خير من وطئ الثرى ودرة تاج الورى محمد ﷺ يقول الله تعالى له:{ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ } [التوبة: ٨٠].

وقال ﷺ:**"إني صليت صلاة رغبة ورهبة وسألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنين ومنعني واحدة. سألته ألا يبتلي أمتي بالسنين ففعل وسألته ألا يظهر عليهم عدوهم ففعل وسألته ألا يلبسهم شيعا فأبى عليّ** - (1).

وما أحد أكرم على الله تعالى من رسوله ﷺ وكم من عبد يدعو ربه ليفرج كربه فيأبى الله إلا أن يكون، ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

*** إعطاء السلطان:**

لو كان إعطاء السلطان دليل حب ما أعطى الله تعالى لفرعون مُلك

(1) رواه أحمد والنسائي والحاكم.

مصر وجعل له أنهاراً تجري من تحته وهو الذي طغى في الأرض وتجبر، وكفر بربه وتكبر...

وهو الذي قال عنه الله جل وعلا في كتابه:{فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ} [النازعات: ٢٤].

وقال:{وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي} [القصص: ٣٨].

وكم من عبد مؤمن يحبه الله ﷻ وهو لا يملك من أمر نفسه شيئاً بل ربما يباع ويشتري، ولا يملك من الدنيا حتى مجرد الثرى، لكن لله في خلقه شئون... ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

*** إعطاء المال الكثير:**

لو أن كثرة المال دليل حب ما أعطى الله ﷻ قارون كنوزاً صارت مضرب الأمثال حتى أن مفاتيح خزائنه لتنوء بها العصبة أولى القوة وما أعطى كافراً آخر مالاً قال فيه:{وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا} [المدثر: ١٢].

ولو أن كثرة المال دليل حب ما دعا رسول الله ﷺ وقال:**"اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا -** [1].

وكان يخشى على أمته كثرة المال ويقول:**"فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا كما فتحت على الذين من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم -** [2].

وكم من عبد مؤمن يحبه الله حتى إذا ما مات لم يجد أهله ما يكفنوه فيه، ولله في خلقه شئون... ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

*** إعطاء الولد:**

(1) رواه مسلم.
(2) متفق عليه.

لو كان إعطاء الولد دليل حب ما فضل الله ﷻ ذلك الكافر صاحب الجنتين بالولد على صاحبه المؤمن بل جمع له بين المال والولد.

قال تعالى:{وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا } [الكهف: ٣٤]..

وكذلك جمع لكافرين آخرين بين المال والولد، فقال تعالى:{أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ} [القلم: ١٤].

وقال تعالى:{وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا} [المدثر: ١٢ - ١٤].. ثم يبينها الله جل وعلا واضحة جلية للجميع:{ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا} [سبأ: ٣٧].. وكم من عبد مؤمن يحبه الله ولم يشأ أن يكون له بنون، ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

*** إعطاء القوة:**

لو كان الحب بإعطاء القوة ما أعطى الله تعالى قوماً خالفوا عن أمره من القوة حتى إنهم لينحتون من الجبال بيوتاً، قال تعالى:{وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ} [الشعراء: ١٤٩].

ولو كان الأمر كذلك ما أعطى الله قوماً من القوة وهم به كافرون ما جعلهم يغترون بما آتاهم الله تعالى.. قائلين:{مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً } [فصلت: ١٥].

وفي ذات الوقت يبتلي عبده ونبيه أيوب عليه السلام في عافيته وأهله زمنا طويلا حتى يدعوه.

قال تعالى:{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [الأنبياء: ٨٣].

وقال تعالى:{ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ } [ص: ٤١].

لكنها إرادة الله جل وعلا فقد يبتلي عباداً له بالقوة والعافية لينظر

كيف شكرهم؟ ويبتلي آخرين بالضعف والمرض لينظر كيف صبرهم؟ قال تعالى: {وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥].

وكم من عبد مؤمن يحبه الله عاش ودون ما يعانيه المنون، ولكن من لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

* المتع الدنيوية:

لو كانت المتع الدنيوية الزائلة دليل حب الله ﷻ ما تمتع الكافرون بدنياهم وقد قال تعالى في شأنهم: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} [محمد: ١٢].

وقال تعالى: {أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ} [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧].

وقال تعالى: {وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ} [البقرة: ١٢٦].

وكم من عبد مؤمن يحبه الله ﷻ... جل حياته ما بين هم وغم وشجون، ومن لم يدرك الحكمة فقد تعبث برأسه الظنون.

* * *

معايير حقيقية لحب الله ﷻ

هناك العديد من المعايير الحقيقية التي تدل على حب الله جل وعلا للعبد، ومن هذه المعايير:

*** القبول في الأرض:**

وذلك بأن يجعل الله ﷻ لك مكانة في قلوب من تعرف ومن لا تعرف ثم تسأل عن سبب ذلك فلا تعرف فاعلم أنما هو قبول من الله تعالى وحب، وعن هذا القبول الرباني قال رسول الله ﷺ: **"إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء فيقول: إن الله تعالي أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض -** [1].

*** الانشغال بالنفس عن الآخرين:**

فإذا رأيتك قد انشغلت عن الآخرين بنفسك وما لك وما عليك، لا تتجسس ولا تتحسس أخبار الناس وقد شغلك حالك عن حال غيرك فاعلم أن ذلك من دلائل حب الله ﷻ لك وذلك أن الله ﷻ إذا أحب عبداً شغله بما يحب وحال بينه وبين ما يكره فقد قال رسول الله ﷺ: **"إن الله كره لكم القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال -** [2]. وقال: **"من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه -** [3].

*** كثرة ذكر الله تعالى:**

وذلك أن الله جل وعلا لا يجري ذكره كثيراً إلا على لسان يحب صاحبه كثيراً خاصة وأن الفلاح مرهون بكثرة ذكر الله تعالى، فقد قال الله ﷻ: {وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥].

(1) رواه مسلم.
(2) متفق عليه.
(3) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وهل يفلح عبد والله له كاره؟

ثم هو اقتداء بالنبي ﷺ قال الله تعالى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب:٢١]، ثم هو نجاة من النفاق ومخالفة للمنافقين الذين هم شر عباد الله وقد قال تعالى عنهم:

{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء:١٤٢].

ثم هو استجابة لأمر الله ﷻ فقد قال الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } [الأحزاب: ٤١].

فإذا رأيتك كثير الذكر فاعلم أنك عند الله تعالى عظيم القدر.

*** إيثار ما يبقى على ما يفنى:**

وذلك من الحكمة:{وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} [البقرة: ٢٦٩].

وهو من الرشد في زمن عز فيه الرجل الرشيد، وقد قال رسول الله ﷺ: **"من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ومن كانت صدقته أحب إليه مما يكتنز فقد فاز -** [1].

فالدنيا وأهلوها والآخرة وأهلوها على مرأى ومسمع من قلبك فانظر ماذا ترى؟ فإن كنت ممن يؤثر الدنيا علي الآخرة فقد آثرت الفاني على الباقي وإن كنت ممن يؤثر الآخرة علي الدنيا فاعلم أن ذلك بحب الله لك.

*** صدق اليقين فيما عند الله ﷻ:**

وهو أن تكون أوثق فيما عند الله تعالى من ثقتك فيما بين يديك أو فيما تراه عينيك، فقد ترى عينك سراباً فتحسبه ماءً وهي واهمة حتى إذا جاءته لم تجده شيئا وقد يكون ما بين يديك ظلاً زائلاً أو يوشك أن يزول، لكن ما عند الله لا يفنى ولا يبيد، فإذا ما بلغ اليقين من العبد مبلغه الذي

(1) رواه الحاكم وابن حبان والبيهقي.

يجب أن يكون، رأى العبد بعين قلبه أهل الجنة في الجنة ينعمون وأهل النار في النار يعذبون ومن كان قلبه كذلك فهو قلب محب وحرى أن يُحب.

*** عدم الركون إلى طول الأمل:**

قال رسول الله ﷺ:"**يهرم ابن آدم ويبقي معه الحرص والأمل** - [1]. وقال ﷺ:"**يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان الحرص علي المال والحرص علي العمر** - [2].

فإن كان المنطق يقول بأنه كلما طال الأجل قصر الأمل لكن ما يحدث في الغالب هو العكس... ولو تعلم.

فإن الموت سهم قد انطلق إليك وعمرك بقدر وصوله إليك، فمن قصر أمله حسن عمله، ومن حسن عمله أحب لقاء ربه ومن أحب لقاء ربه أحب ربه لقاءه.

*** العدل مع الناس:**

إذا رأيتك لا تعطي من تحب مالا يستحق ولا تمنع من تبغض ما يستحق وكان شأنك العدل في الرضا والغضب وكان عطاؤك لله ومنعك لله وليس لقربى أو لهوى فاعلم أن الله ﷻ يحب المقسطين ويحب الذين يأمرون بالقسط من الناس.

*** الحب والبغض لله:**

أما الحب فقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ } [الحشر: ٩].

وأما البغض فقال تعالى:{لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ

(1) متفق عليه.
(2) رواه مسلم.

عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة: ٢٢]، فانظر في قلبك من تحب ولمَ؟ ومن تبغض ولمَ؟ فإن كان لغير الله ﷻ فلن ينفع وإن كان لله فذلك أنفع وأبقى وأسمى.

*** الابتلاء:**

لو فقه الناس عن الله ﷻ مراده لعلموا أن البلايا من الله عطايا وأن المنع من الله إحسان وأن العطاء من الناس حرمان فالله تعالى لا يأخذ إلا ليعطى... ولا يمنع إلا ليمنح.

- والابتلاء دليل إيمان:

قال تعالى:{أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: ٢]، وقد اقتضت سنة الله ﷻ في خلقه أنه لا دخول للجنة بدون ابتلاء، قال تعالى:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } [البقرة: ٢١٤].

- والابتلاء دليل حب:

قال رسول الله ﷺ:**"إن عظم الأجر مع عظم المصيبة وإذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط** - (1).

وقال ﷺ:**"إذا أحب الله عبداً حماه في الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء** - (2)، أي: يمنعه ما يشتهي ليحميه.

والابتلاء دليل على عظم الأجر وعلو المنزلة عند الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ:**"أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلي الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وإن الرجل**

(1) رواه الترمذي وإبن ماجة وحسنه الالباني 2110 ص.ج.
(2) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني 282 ص.ج.

ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس وما عليه خطيئة - [1].

وقال ﷺ:"ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة - [2].

وقال ﷺ:"إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلّغه إياها - [3].

وقال ﷺ:"إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة - [4].

وقال ﷺ:"مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيؤه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا يهتز حتى يستحصد - [5].

* استعمال الجوارح في طاعة خالقها جل وعلا:

قال تعالى في الحديث القدسي:

"من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه... - [6].

فانظر في جوارحك أين قبلتها... وأين غدوها ورواحها؟.

* الانشغال بالله ﷻ:

وذلك فيما يرضى من القول والفعل فإن الله ﷻ إذا أحب قوماً شغلهم بما يحب وإذا كره قوماً شغلهم عما يحب بما لا يحب. قال تعالى:{وَلَوْ

(1) رواه ابن ماجة وصححه الألباني 993 ص.ج.
(2) رواه الترمذي وصححه الألباني 5815 ص.ج.
(3) رواه الحاكم وابن حبان وحسنه الألباني 1625 ص.ج.
(4) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني 308 ص.ج.
(5) رواه الترمذي وصححه الألباني 5842 ص.ج.
(6) رواه البخاري.

أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ } [التوبة: ٤٦].

وقال رسول الله ﷺ:**"من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك -** (1).

فانظر في نفسك ما شغلك وما شاغلك، فمن كانت الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه فما ذلك إلا لأن الله ﷻ كره انبعاثه لعمل الآخرة فثبطه فلا يقوم الواحد منهم لطاعة إلا وكأنه قد سلسل إلى جبل... هذا إن قام أصلاً ومن كانت طاعة الله ﷻ شغله وشاغله فما ذلك إلا لأن الله تعالى أحبه فيسر له طاعته حتى صارت أحب إليه من الماء البارد على الظمأ... فإذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر أين أقامك؟

*** حسن الخاتمة:**

قال رسول الله ﷺ:**"إذا أراد الله بعبد خيراً عسّله** -قيل: وما عسّله؟ قال: **"يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه -** (2).

وقال ﷺ:**"إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله** - قيل: كيف يستعمله قال: **"يوفقه لعمل صالح قبل الموت ويقبضه عليه -** (3).

فحسن وسوء الخاتمة ليس مصادفة هكذا كما يظن البعض، فليس مصادفة أن يموت رجل وهو يلبي على جبل عرفات في يوم تتنزل فيه الرحمات ويموت آخر وهو غارق في الفواحش والمنكرات، وإنما الخاتمة هي إعلان النتيجة في امتحان كان مداه العمر كله فمن وفىّ وفىّ الله تعالى له وأحسن خاتمته ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا، ومن طفف فقد علمتم ما قيل في المطففين.

(نعوذ بالله من سوء الخاتمة ومن سوء العاقبة)

(1) رواه ابن ماجة وحسنه الألباني 6189 ص.ج.
(2) رواه الطبراني وأحمد وصححه الألباني 307 ص.ج.
(3) رواه الترمذي وصححه الألباني 305 ص.ج.

* * *